الالات الموسيقية(الالات الطرب)، فقد جاء ذكرها في الشعر العربي امرؤ القيس، الاعشى وفي كتب الاغاني: لابي الفرج الاصبهاني؛ العقد الفريد: لابن عبد ربه، سيرة عمر بن عبد العزيز: لابي عبدالله بن عبد الحكم، التلخيص في معرفة اسماء الاشياء: لابي هلال العسكري؛ والمخصص : لابن سيدة، ابو الحسن علي بن اسماعيل، والمعاجم التي من بينها لسان العرب: لابن منظور .

وقد اشارت المصادر الاثارية والتاريخية والادبية المختلفة العربية منها والاسلامية الى شيوع الالات الموسيقية وتنوعها بين العرب على مدى تاريخهم البعيد، وكان لهذا الشيوع اثره في بلورة وتطور صناعة هذه الالات التي عرفت بالدقة والحذاقة.

وقد اشتهر العود من بين هذه الالات في العصر الاموي، ومما يذكر ان يزيد بن حبيب قد كتب الى الخليفة عمر بن عبد العزيز في اللعب في الدفوف والبربط(العود) في الاعراس فكتب اليه الخليفة"امنع الذين يضربون البرابط ودع الذين يضربون بالدفاف فان ذلك يفرق بين النكاح والسفاح"[(١)].اما عن شكل العود وصناعته في العصر الاموي فقد ورد له وصف فريد في كتاب العقد الفريد[(٢)].

وقد ازدهرت صناعة التحف العاجية في بلاد الشام ولم تقف هذه الصناعة عند حدوث هذه البلاد بل خرجت الى الاندلس فيما بعد حيث يتجلى الفن الاندلسي اروع ما يتجلى في فن صناعة التحف العاجية ولا عجب في ذلك فالطراز الاندلسي قام على تقاليد الفن الاموي الذي حملة الامويون معهم من بلاد الشام[(٣)].

الحركة التجارية:

والتجارة حسبما هو معروف عنصر اساسي من عناصر الحياة الاقتصادية لاي أمة من الامم، ولقد لعب العرب منذ ازمنة بعيدة دورا مهما في عالم التجارة الداخلية والخارجية على حد سواء وما الدور الذي لعبه عرب عمان واليمن والحجاز والجزيرة الفراتية في تجارة العالم القديم عبر البحر الاحمر والبحر العربي والمحيط الهندي والخليج العربي وعبر ارجاء الجزيرة العربية برا، وما اشتهر به المجتمع المكي التجاري من نشاط تجاري في رحلتي الشتاء والصيف، وما لعبه مجتمع مملكة تدمر العربية من فعالية تجارية في الطريق التجاري البري عبر الجزيرة الفراتية الا ادلة واضحة على نشاط العرب في هذا المضمار .

---

(١) ابن عبد الحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز/ ص١٨.

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٦، ص٧٢٤؛ رسائل اخوان الصفا، ج١، ص٢٠.

(٣) صلاح حسين العبيدي: الفنون الزخرفية العربية الاسلامية، ص١٨٧.

فلم ينظر العرب الى امتهان التجارة نظرة استهجان وازدراء، لكنهم على العكس عدوا الاشتغال بالتجارة من اشرف الحرف فقد زاولها الملوك وعليه القوم والامراء، وكانت لهم خبرة واسعة في البيع والشراء.

لقد كان خير الامة رسولها الكريم(ص) واكابر عشيرته يزاولون التجارة واحتوى القران الكريم على عدد من الايات الكريمة تضمنت مصطلحات تخص التجارة النزيهة الخالية من الربا[1].

وكما ان هناك عوامل ادت الى ازدهار الزراعة في العالم الاسلامي خلال عهد الخلافة الاموية، فان هناك عوامل متنوعة دفعت العرب خلال هذه الفترة الى تنشيط فعاليتهم والابقاء على اهمية دورهم في عالم التجارة ومن بين هذه العوامل:

١-الموقع الجغرافي:

لقد تمتعت البلاد العربية بموقع جغرافي مهيمن، فقد ازدادت اهمية هذا الموقع ذا المواصفات المتنوعة فيما نجحت الجيوش العربية في تحرير وفتح الكثير من المناطق الشاسعة والمهمة التي كانت خاضعة لسيطرة الامبراطوريتين الساسانية والبيزنطية فصارت الدولة العربية ابان العصر الاموي ممتدة شرقا حتى نهر سيحون وجيحون بضمنها بلاد السند والهند، وغربا في المغرب العربي والاندلس، لهذا غدت مهيمنة على البحر الاحمر والبحر الابيض وبحر العرب والمحيط الهندي والخليج العربي، وهي بحار ومحيطات استقطبت جميع الخطوط الملاحية التجارية البحرية التي كانت تربط الشرق بالغرب علاوة على هيمنتها على الطرق البرية الممتدة عبر الجزيرة العربية والجزيرة الفراتية والعراق وبلاد فارس الى مصر والمغرب العربي[2].

٢-انتعاش نشاط الطرق البحرية والنهرية والبرية

لقد انتعشت الطرق البحرية والنهرية والبرية في الدولة الاموية الواسعة الارجاء، وقد ظهر هذا الانتعاش والنشاط نتيجة الى زيادة الطلب على الواردات والى تبادل السلع والتجارات بعد استقرار عمليات التحرير والفتوحات العربية الاسلامية وتاسيس الامصار والمدن فنشطت انماط انتاجية غير زراعية في هذه المراكز الحضرية التي جذبت بدورها الطرق التجارية البرية والنهرية والبحرية

---

(١) انظر سورة المطففين، اية ١ وما بعدها ؛ سورة البقرة، اية ٢٤٥، ٢٧٥، ٢٧٩؛ سورة النساء، الاية، ١٠٠.

(٢) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص١٤٥.

كالبصرة والكوفة وواسط والموصل ودمشق وحلب والفسطاط والقيروان وتونس وموانئ اليمن وموانئ مكة المكرمة وموانئ البحرين وعمان وموانئ الساحل الشرقي من الخليج العربي[1].

وبالرغم من الحقيقة بان النشاط التجاري خلال المرحلة التي انشغل فيها العرب المسلمون بالفتوحات الاسلامية لم تكن مزدهرة بشكل واضح علاوة على الاهتمام المتزايد الذي ابداها المسؤولون في البلاد العربية لتنمية الموارد الزراعية والاهتمام بتحسني وتطوير مشاريع الري وعلى الرغم من ان الامصار التي تاسست انذاك خلال العصر الراشدي وبداية الخلافة الاموية لم تكن انذاك امصارا قد نمت وتطورت لتصبح مراكز تجارية نجدر انها بمرور الزمن، وربما عندما افلح الخلفاء الامويون في السيطرة على المشاكل السياسية أبان عصر الخليفة عبد الملك بن مروان وعندما ابدى هذا الخليفة اهتماما ملحوظاً بالشؤون المالية كتعريب النقود وسكها مثلا انصرفت الجهود نحو النشاطات التجارية.

ومع ان المصادر التي بين ايدينا لم تقدم غير معلومات قليلة حول واقع النشاط التجاري في الخليج العربي والمحيط الهندي، الذي ربما كان منكمشا حتى منتصف القرن الاول للهجرة لكن دون شك فان الطرق البحرية عبر البحر الاحمر والبحر المتوسط، كذلك الطرق البرية من اليمن عبر مكة وبلاد الشام ثم موانئ البحر المتوسط وكذلك طرق الحجيج عبر البصرة والكوفة الى مكة والطرق البرية عبر الساحل الافريقي الشمالي (المغرب العربي) كانت اكثر فعالية وحيوية في نقل البضائع المختلفة.

٣-التطور الاقتصادي للمجتمع العربي:

وكما المحنا سابقا فان توجه الخلفاء الامويون وعمالهم واخرين غيرهم باستصلاح الأراضي وتحويلها من اراض موات الى اراضي زراعية مثمرة وتزايد اهتماماتهم بالاراضي الزراعية كان واضحا اثناء عمليات التحرير والفتوح وبعدها. غير ان نشوء الامصار التي توافد الناس عربا وغير عرب الى الاستقرار فيها ادى الى الانخراط في تلبية الشؤون اليومية الحياتية القائمة على السوق وتبادل البضائع وتصنيع ما يحتاج اليه من صناعات يدوية ضرورية كل هذه المتغيرات جعلت الحاجة ماسة الى سد الاحتياجات اليومية الاساسية من ماكل وملبس وهذه لم تتحقق طبعا في هذا المصر لوحدة او ذلك كما استوجب استيرادها او جلبها من المراكز والامصار التي تنتجها.

انه ليس من المبالغة في شيء اذا اكدنا بادئ ذي بدء ان قضايا العمران بنوعية البدوي والحضري، التي جاءت كنتيجة حتمية ومنطقية لنشوء الامصار والمدن واستقرار العرب ادى الى تطور الاحوال الحضرية في المجتمع العربي الذي تطور من المجتمع زراعي الى مجتمع اهتم بالجوانب

(١) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص٢٠١.

الاقتصادية الاخرى تجارية وصناعية فقد اهتم الامويون وعمالهم بتنظيم الاسواق في المدن وتشجيع التجار واصحاب الحرف فيذكر المؤرخون ان والي الخليفة عثمان وبداية الدولة الاموية عبدالله بن عامر كان مهتما بتنظيم سوق البصرة وبناء الحوانيت، كما ان خالد بن عبدالله القسري والي العراق بنى ايضا الحوانيت في مدينة الكوفة وسقفه سوق المدينة بالأجر والجص والحصى واتخذ اخوه اسد بن عبد الله القرية المعروفة بسوق اسد في منطقة الكوفة وبنى فيها سوقا ونقل اليها الناس[(١)] وذكر ايضا ان بلال بن ابي بردة حفر نهر بلال في البصرة وبنى على جانبية الحوانيت ونقل اليها السوق[(٢)].

اما الحجاج الثقفي فقد اعتنى عند بنائه مدينة واسط بالاسواق، فقد اتخذ السوق الرئيس ووصفه بحشل مؤلف واسط قائلا ان هذا السوق كان كبيرا يمتد من دار الامارة حتى شاطئ نهر دجلة شرقا ونحو درب الخرازين جنوبا[(٣)].

وفي هذا المجال يورد لنا المؤرخ الواسطي بحشل رواية مفصلة عن الكيفية التي وزع فيها الحجاج هذه الاسواق التي كانت موزعة وفقا للحرف التي نشطت فيها، اذ انزل اصحاب الطعام والبزازين والصيارفة والعطارين الى الجهة اليمنى من السوق الاساس وتمتد هذه الاسواق الى درب الخرازين، كما انزل باعة السفط وباعة الفواكة الى الجانب المقابل للسوق المركزي، وانزل الخرازين والروزجارين والصناع الى الجهة اليسرى من السوق[(٤)].

اما في مدينة الفسطاط في مصر فقد ذكر ابن عبد الحكم ان موسى بن وردان لعله زمن الخليفة الوليد بن عبد الملك قد انشاء سوق وردان واهتم الامويون بتاسيس اسواق اخرى كسوق البربر وسوق البركة.

ومن المحتمل ان حركة نمو هذه المدينة– الفسطاط– ونشاطها التجاري جعل هذه الاسواق قاصرة وغير كافية للتعامل التجاري، فيذكر ان عبد العزيز بن مروان بنى القيسريات والقيسارية عبارة عن مجمعات للاسواق والمحلات ومن بين تلك القيسريات قيسارية العسل وقيسارية الحبال وقيسارية الكباس وقيسارية عبد العزيز التي كان يباع فيها قماش البز. وبنى الخليفة هشام بن عبد الملك قيسارية اخرى لبيع من البزاز والبسطاط وكان يمتد القصر الى البحر وسمي بقيسارية هشام[(٥)].

---

(١) البلاذري، فتوح، ص٢٨٤.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٥٨.

(٣)باسلم بن بحشل ، تاريخ واسط، ص٤٤.

(٤) المصدر نفسه .

(٥) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص١٣٤، ١٤٥، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٠.

ووصفت مدينة القيروان بكثرة اسواقها ونشاطها التجاري سوق التمارين وسوق الصباغين وسوق الصرافين وسوق القيروان ويصف ابو عبيد البكري ان سماط سوق اليقروان كان كبيرا ومتصلا من جهة القبلة الى الجوف حتى ان طولة بين باب ابي الربيع الى المسجد الجامع بلغ حوالي ميلين الا ثلث وكان سماط من الاسواق(اي يشبة القيسارية) يشتمل على جميع التجارات والصنائع والمهن وقد امر الخليفة هشام بن عبد الملك بتربيته وتنظيمه حيث وزعة توزيعا مهنيا فصار كل سوق متخصص بنوع من المهن والبضائع[1].

وقد شجع الامويون بناء الاسواق في مدينة الموصل، اذ يقال ان سوق الحر الذي كان يقع الى الغرب من جسر المدينة اسسه والي المدينة الحر بن يوسف في العصر الاموي كما كان هناك سوق الشعارين وسوق الحشيش.

اما في مدينة الحيرة فقد بنى يوسف بن عمر خلال خلافة هشام بن عبد الملك بها سوقا سمي"سوق عمر"[2].

وحرصا من الخلفاء على مصلحة الرعية وامكاناتهم المعاشية وابعاد المستغلين والمتلاعبين، واقتداء برسول الله(ص) وخلفائه رضوان الله عليهم من بعده[3] اعطوا عنايتهم بالاسواق وبالاشراف عليها، فخضعت لمراقبة موظفين خاصين يعينهم الامراء والولاة ومعهم الاعوان يساعدونهم على القيام بمهامهم المختلفة والمتعددة فمنهم من يتولى حراستها في الليل والنهار، ومنهم من يراقب المكاييل والاوزان وتميزي الدراهم لمعرفة جيدها ورديئها ورصد عمليات البيع خوف التلاعب بالاسعار والتحكيم بين اصحاب المهن فيما يقع بينهم من خلافات، اضافة الى جمع ضريبة الاسواق، وقد ذهبت مهامهم الى ابعد من ذلك حيث اشرفوا على الصناعات كالصباغة والحياكة وغيرها كل ذلك كان ينصب في الاطمئنان على سلامة العمليات التجارية

ان هذه الانجازات الكبيرة في بناء الاسواق ومراقبتها وتنظيمها وفقا للمهن والبضائع المعروضة فيها تعد دليلا واضحا على الاهتمام المتزايد الذي بذله الخلفاء الامويون وعمالهم في عملية تنشيط الحركة التجارية.

---

(١) المقدسي: احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ص٢١٦.

(٢) البلاذري: فتوح،ص٢٧٥؛ الازدي: تاريخ الموصل، ص٢٤، ٢٠٤.

(٣) استعمل الرسول(ص) سعيد بن العاص على سوق مكة بعد فتحها، واستعمل عمر(رض) سوق المدينة اما الخليفة عمر(رض) فتذكر المصادر انه اوجد قاعدة عامة يسير عليها اهل الاسواق في الحصول على مقاعدهم، كما تذكر المصادر بانه اول من عنى في عمله بالمدينة.

- زيادة في التفاصيل، ينظر الطبري: تاريخ ،ج٤، ص٤٥-٤٦، ١٩، ٢١٣.
- احمد ، لبيد ابراهيم: الخلافة الراشدة، ص٩٨-٩٩.